همسات صاخبة

أردتُ جـدًّا أنْ يجتـاحَ صـوتي العـالم.. وأردتُ جـدًّا وجـدًّا لـو أصرُخ بـكل قـوتي في وجـه العـالم.. ربَّـما يرتـاح قلبـي.. ربـما تَهـدأ روحـي.. ربَّـما ينتهـي صراعـي.. سـؤالٌ واحـدٌ ظـلَّ يُحـاورني كل لحظـةٍ.. لمـاذا أنـا؟ أنـا والله مـا كنـت يومًـا خبيثًـا.. لمْ أعـرِف طـرق التلـوُّن والكـذِب، ومـا اندفعـتُ للعـالم إلّا بقلـبٍ صـادقٍ.. مـا حمِلـتُ إلّا سـلامًا، لكنَّـي مـا وجدتُـه حـولي، هـل مـن المُفتـرَض أنْ أتـصرَّف عـلى نحـوٍ خبيـثٍ مثلهـم لأكـونَ بخـيرٍ؟ هـل مـن المُفـترَض أنْ أكـذب وأنْ أفكِّـر في العـالم بطريقـةٍ سـيِّئةٍ؟ لمـاذا يقول الجميـعُ نحـبُّ الخيِّريـن الطيِّبـين الصادقـين، في الوقـتِ نفسـه الذي تجدُهـم في أوَّلِ صفـوفِ الخبيثـين؟ أحـب الصادقـين ولسـتُ منهـم.. أليـس كذلـك لا أفهـم كيـف؟ أولئـك الذيـن قالـوا أنَّـك رائـعٌ جـدًا هـم أوَّل الذيـن حاولـوا أخْـذَ منـك تلـك الروعـة.. ظننـتُ أنَّ الحـبَّ والرحمـةَ بقلـوب الجميـع، وأنَّـه متـاحٌ لطالمـا لا أحـد مضطـرٌ لشرائـه بالمـال.. لكـن كانـت خيبتـي عظيمـة أخفتهـا ابتسـامةٌ هادئـةٌ، وعينـان تخفـي حدَّتهـا عـن العـالم.. العـالم سـيظلُّ يدعمـك مـا زلـت واقفًـا وتُعطـي.. مـا زلـت تَسـتند عـلى نفسـك.. مـا زلـت لمْ تنطفـئ.. لطالمـا روحـك قويـة..

ستجد العالم يحبك جدًا لأنَّ الجميعَ يبحثون عن النورِ ولا أحد يختارُ الظلمة.. الجميع مِثاليّ لطالما يحتاج إليك فقط.. في كلِّ مرةٍ كنت أكتشفُ عالمي.. كنت أحاول إنكار كل شيءٍ يوجعني.. كانت طريقتي في الهَرب من الأشياء أتجاهَل الشخصَ الذي يتألَّم بداخلي والاستمرار والاستمرار كأنني لّما أغمِض عيني عن الحقيقةِ ستختفي، كأنني لّما أتجاهَل وجعي سيختفي فجأة من العالم.. نادرًا ما يكون هناك شخصٌ حقيقيّ، وكأنَّ كل فوضى العالم سكنتْ بداخلي وحدي، وتلاشى صوتي فجأة وأسكن الوجع بروحي، لا هي تستطيع الصراخ، ولا هي تهدأ وبقيت سجينةً بروحي أرتطم بالأرض حتّى شعرت بقلبي لا يشعر، وكلَّما حاولتُ طردَه، كلّما حاولتُ أنْ أستدعي الكلمات وجدتها كالسكين تغرز أكثر وتوجعني أكثر.. بقيتْ كلِماتي أسيرةَ روحي، وبقيتُ أنا أسيرةَ أفكاري، لا هي تذهبُ منّي بعيدًا، ولا هي تهدأ، وإنَّما تُبقيني في صراعها وحدي.. إنَّ تلك الأشياء اللعينة بعقلي تستوطنُني رغمًا عنّي، ولا شيءَ قادر على إيقافِ تلك الأفكار بعقلي، وكأنَّها تعلم ذلك وتستمتِع بتعذيبي.. لستُ بخيرٍ لكنّي أحاول جدًا.. أحيانًا تكون الأشياءُ اللامعة بحياتنا هي أكثر الأشياء التي أوْجعتنا جدًا.